العوامل المؤثرة في اللغة الشعرية للفرزدق

Factors affecting the poetic language of Farazdaq

Fatima Abdul Sami
PhD Scholar, Department of Arabic, The Islamia University of Bahawalpur
Email: fatimasami123@gmail.com
Dr. Hafiz Ahmad Ali
Associate Professor, Department of Arabic, The Islamia University of Bahawalpur
Email: hafizaahmad.ali@iub.edu.pk

Abstract
The attention of the Arabs about language is an old trend, dating back to the days of the ancients, since they knew poetry, and their tongues acted in it, and it became the Diwan of the Arabs. In the situation of the word in the sentence, which is the basic material of the language, so they chose for it the most appropriate place for expressing the intent, to fulfill its role in clarity and accuracy of description, Transferring ideas and suggesting images. Literature books tell us how the Arabs looked at each other's poems, as we find their observations based on a deep sense of the majesty of the word, and that employing it requires skill, and it plays its role in achieving the expression of feelings and emotions, but in expressing emotions and feelings, the language of the poet has value and it Influences that affect the language of the poet, and in the following lines I will lose sight of the factors that were influential in the language of Abu Firas Hammam bin Ghalib bin Sasa Al-Darmi Al-Tamimi titled as Farazdaq, and his title has prevailed over his name, and in the following lines I look for the factors that were influential in his poetic language.

المقدمة

عناية العرب باللغة قضية قديمة، ترجع إلى أيام في القدم منذ عرفوا الشعر، وتصرفت فيه ألسنتهم، وأصبح ديوان العرب، فكانوا يؤثرون كلمة على أخرى، لأنهم رأوا فيها دليلا أقوى على توضيح القصد، أو لأنهم وجدوا فيها من العذوبة ما تستريح له النفوس، فاهتموا في أوضاع الكلمة في الجملة، وهي المادة الأساسية للغة، فاختاروا لها المكان الأكثر ملاءمة للتعبير عن القصد ، لتؤدي دورها في الإبانة ودقة الوصف، ونقل الأفكار والإيحاء بالصور. وتروي لنا كتب الأدب ، كيف كان العرب ينظرون في أشعار بعضهم، إذ نجد ملحوظاتهم مبنية على إحساس عميق بجلال الكلمة، وأن توظيفها يحتاج إلى مهارة، كما تؤدي دورها في تحقيق الإفصاح عن المشاعر والعواطف ولكن في اظهار العواطف و الاحساسات اللغة الشاعر له قيمة و لها مؤثرات التي تؤثر علي لغة الشاعر و في السطور التالية اضيع علي العوامل التي كان مؤثرة في لغة ابوفراس همام بن غالب بن صعصه الدارمي التميمي المقلب بفرزدق ، ولقبه قد غلب علي اسمه،و في السطور التاليه ابحث عن العوامل التي كانت موثرة في لغته الشعرية.

البيئة العامة عند مولدالفردق:

عاش الفرزدق في البصرة، فتأثر بالأجواء التي سيطرت عليها، ومنها تلك الحركة الدينية التي اتسمت بالحيوية والنشاط، وجاء تأثره بها كبيرا جدا، شأنه في ذلك شأن غيره من العرب، الذين مكنتهم تلك الثقافة من التصدي للمشكلات التي واجهتهم، ولم تكن الثقافة الدينية الإسلامية هي الثقافة الوحيدة التي أثرت في العرب، فقد شهد العراق ثقافات متعددة قبل الإسلام. فكانت ثقافة العصر مشتركا من ثقافات يونانية وهندية وفارسية، فترك تلاقي هذه الثقافات خلافات حول القضايا المصيرية التي تهتم الناس ،كالخلافة، والنظرة إلى بعض أمور في العقيدة والفقه والتشريع، صارت البصرة بسبب ذلك، مسرحاً للاحتجاج، ومنطلقا لطرائق في السلوك وآداب الدين، فانطلق الزهاد والنساك من معتقداتهم التي أقاموها على قواعد من كتاب الله وسنة رسوله ، متأثرين بذلك البقاء الشامخ الذي أقامه القرآن، والذي حدد أبعاد العقيدة، وشرح نظام الحياة، ثم جاءت السنة النبوية، فأوضحت ، وفصلت كثيراً من أموره، وقد ترتب على هذا، أن نشأت حاجة ! تفسير ما غمض من القضايا التي استجدت على الساحة، وكانت الآيات القرآنية بحاجة إلى تفسير مراميها ومقاصدها، فنشأ علم التفسير جانباً إلى جنب مع علم القراءات، وظهر المحدثون الذين نهضوا بكشف الزائف من الأحاديث التي نسبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرفت البصرة فقهاء وقضاة، تعرضوا لمشكلات المسلمين اليومية، وللقضايا المصيرية التي تشغل بالهم، وأصدروا فيها ما اقتنعوا به من أحكام، تساير المنهج الذي جاء به الإسلام، فوضعوا بذلك أساس الاجتهاد.

كان من الطبيعي أن يتأثر الفرزدق بما يدور حوله من جدل ومناقشات ، ما كان لها أن تبقى مقلعة، وأتى يكون هذا والناس جميعاً قد تفتحت عقولهم. ولم يعد لجمها ممكنا. وقد بلغ من تأثر الفرزدق، أنه كان يحافظ على ملازمة الحسن البصري،([1]) مما أتاح له فرصة حضور حلقات العلماء، والإفادة مما يجري فيها من مناقشات ، فيطلع على مدارسة الأكفياء، ويتعرف على ألوان الجدل وطرق الاستلال والقياس، وقد منحته هذه القضايا مؤونة ممتازة، وقدرة عجيبة على الجدل. وظهر أثر هذا كله في لغته ، فجاءت قوية فصيحة، تدل على امتلاك صاحبها البهان ، وبدافع من شعور العظمة فقد أعطي نفسه الحق في اشتقاق صيغ جديدة لم تكن مألوفة، واستخدم ألفاظاً في غير ما وضعت له، لا على سبيل المجاز، ولا على سبيل الاستمارة، بل على سبيل الحقيقة، ولم يأت هذا الإحساس من فراغ ، فقد كان لبيئة الشعر التي شب فيها، أثر كبير في نفسه، إذ نمت فيه شعورا بأنه وارث لواء الشعر، وأن من حقه أن يكون مميزا عن أقرانه من الشعراء، وهذا ما جعله يزعم تفوقه على من سبقه من الشعراء، فنجده يقول([2]) :

ساجزيك معروف الذي يلفني به	يكفيك فاسمع شعر من قد تخلا
قصائد لم يقدر زهير ولا ابنه	عليها ولا من حولوه المحبلا

ولم يستطع نسج امرئ القيس مثلها	وأعيت مراقيها لبيدا وجولا
وتابعتي قيس بن عيلان والذي	أراه المنايا بعض ما كان قولا

تأثرالفردق بلغة تميم :

لا عجب أن يتأثر الفرزدق بلغة تميم، فنجده يستخدم ألفاظ انفردت بها دون غيرها من العرب، ولا بد من الإشارة بادئ ذي بدء إلى أن هذا الأمر لا يقلل من شاعرية الفرزدق، ولا أهميته ، أو فصاحته ، فقواعد اللغة التميمية أقوى قياساً من غيرها، بل إن في أقوال العلماء ما يفيد بأن لغة تميم ،كانت في كثير من مفرداتها وتراكيبها، هي ما ينطق به غالباً أبناء العربية،([3]) ومع ذلك، فإن ما ورد في أشعار الفرزدق منها هو القلة بحيث لا يتجاوز أصابع اليدين، فلم يكن تأثره بلغة تميم تأثرا بارزا. ويرجع ضعف هذا التأثر، إلى اعتماد القبائل العربية لغة قريش.

لوجودها في منطقة تؤمها القبائل للعبادة، وللمرور إلى الشام في تجارتها. ولذا كانت لغتها هي اللغة المعتمدة لدى العرب جميعاً. فلم يعدل الفرزدق عنها إلى غيرها، ليضمن لشعره الذيوع والانتشار، فعدوله عن لغة تميم إلى لغة قريش ، جاء لأسباب اجتماعية محضة، مع أن تميما اشتهرت بالفصاحة وغزارة الشعر والنثر ولم يتأثرلسانها بالعجمة، وكانت من بين القبائل التي أخذ عنها اللسان العربي المبين .

فلغتها من أفصح لغات القبائل النجدية، فهذا أبو عمرو بن العلاء يقول: "أفصح الناس عليا تميم"([4]). وقد انفرد اللغويون القدامى بالتأكيد على انفراد تميم بلغة خاصة بها، وجرى المحدثون هذا المجرى، فتجد صبحي الصالح، يضع قبيلة تميم في مقدمة القبائل التي اشتهرت بالفصاحة، من ذلك تحقيق الهمز، فإنه لغة تميمية :

وبهذا جاء القرآن الكريم، فالتميميون يقولون : حاستا، في حين يقول الحجازيون : خاسياً، وبلغة تميم وردت القراءة في قوله تعالى : "ثم المرجع البصر كرتين يتطلب إليك البصر خاسئا وهو حسيس([5])، والتميميون يقولون: كأس، فأس، ذئب، بئر([6])، بينما أهل الحجاز، يقولون : كاس، راس، فاس، ذيب، بير. ومن الألفاظ التميمية في شعر الفرزدق، لفظ: زوجة، فالعرب يغلب عليهم أن استخدام لفظ: "زوج" للمذكر والمؤنث ، ولكن التميميين يقولون : "زوجة مؤنث بالتاء، وبهذا جاء قول الفرزدق :

فإن امرأ يسعى يحبب زوجتي	كساع إلى أسد الشرى يستبيلها([7])

وحيث يقول([8]) :

ولتكفينك فقد زوجتك اليي	فلكت موقعة الظهور قصار

ذكر الأصمعي، أن العرب لا تكاد تقول عن امرأة الرجل زوجته، في حين ذكر ذلك جوازا على قلته([9]).

تستخدم تميم لفظ: "جدف" بمعنى القبر، في حين تقول قريش عن القبر : جدث، وقد جاء به الفرزدق على لغة تميم، حيث يقول ([10]):

وما عليم الأقوام بثل أسيرنا	أسيرا ولا أجدافنا بـالكواظم

ومن خصائص لغة تميم كسر حركة ميم الجمع في مثل: فيهم لهم، وبهذا جاء قول الفرزدق :

غطاريف من قيس متى أدع فيهم	وحندف يأتوا للصريخ المثوب([11])

وتشدد تميم الياء في لفظ "الهدي" في حين يخففه الحجازيون"([12])، وقد أوردهالفرزدق مشدد الياء على لغة تميم، يقول :

حلفت برب الراقصات إلى منى	خفافا وأعناق الهدي المقلد([13])

و عرف عن تميم ابدال لام " لعل "الأخيرة نونا، وبهذا جاء قول الفرزدق في قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك، يقول([14]) :

الستم عاجين بنا لعنا	ترى العرصات أو أثر الخيـام

وتميم تستخدم اسم الإشارة لجمع القريب بلفظ "أولي" بينما يستخدم الحجازيون لفظ "أولاء" وقد جاء به الفرزدق على لغة تميم، حيث يقول([15]) :

أولاك وعير أمك لو تراهم	بعينك ما استطعت لهم خطايا

والحجازيون يقولون : منشار، أما تميم فتقول: منشار. وبهذا ورد اللفظ في شعر الفرزدق، حيث يقول"([16]):

إذا احترفت ماشرها أشالت	أكارع في جوائها قصار

والحجازيون يقولون : تألف، أما تميم فتقول : تيلف، وجاء قول الفرزدق على لغة تميم ، حيث يقول :

عرفت بأعشاش وما كدت تعرف	وأنكرت من حذراء ما كنت تعرف
ولج بك الهجران حتى كانما	ترى الموت في البيت الذي كنت تتلف

أثر الفكر الديني في لغته :

تأثر الفرزدق بما ساد مجتمعه من فكر، فبعد أن كانت الغالبية من العرب قبل الإسلام وثنية، لا هم لهم إلا أن يصيبوا من المتع الحسية العاجلة ما أمكنهم ، أصبحوا في ظل الإسلام الذي أصبح دين السواد الأعظم، لا يشعرون بأن الإنسان مخلوق مشحون بالغرائز، تثيره كلمة ، وتريحه ابتسامة، أو نسمة صيف، تسري في عروقه، بل أصبح متعطشاً إلى مثل وقيم، تخلص النفوس مما جبلت عليه ، وما أن تذوق العرب طعم تلك المبادئ، حتى أقبلوا عليها، محاولين غسل أدران الماضي بروحانية الإسلام، التي أضاءت نفوسهم من بعد ظلمة، فلم يعد العربي يتخبط تخبط الناقة العشواء، وأخذ يقذ الخطى ليلحق بالصالحين في دار الخلود والنعيم، وأصبح ينظر إلى نعيم الدنيا على أنه نعيم زائل، فالقرآن ما انفك يصف الحياة بالدنيا " زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

الْحَيٰوةُ الدُّنْيا و يسخرون من الَّذين امنوا و الَّذين اتَّقوا فوقهم يوم الْقيٰمة "[17]. وهو يمني المتقين باليسرى: " فَاَمَّا من اعطى و اتَّقٰى صدَّقَ بالْحسنٰى فسنيسره للْيسرٰى "[18]. وقال: " انَّ الله مع الَّذين اتَّقوا وَّ الَّذين هُم مُّحْسنونَ ". [19] وكان من الطبيعي أن يتأثرَ الشعراء بهذا، وأن يطوعوا لغتهم، لتستوعَب هذه القيمَ ، ولتعبرعَنها، وعن كل ما جاء به الإسلام، من توجيه نحو العمل في الدنيا من خلال المعطيات الدينية ، فالإسلام دنيا ودين، وحياة وموت ، وبعث وحساب، ولذا فقد زين عمل الخيرات للناس، وحث على اتخاذ أسباب الزينة، التي لا تخل بالأدب والوقار، فهو دين الأنبياء السابقين، قال تعالى : " ملَّةَ ابيكُمْ ابرٰهيمَ هو سمّٰىكُمُ الْمسلمينَ من قبل[20]. وفي الوقت ذاته، نجد في القرآن نصوصا كثيرة، تطالبَ الناسَ، بالإقبال على الدنيا، فقال جل من قائل: "و ابْتَغ فيمٰا اٰتٰىكَ اللّٰهُ الدَّارَ الْاٰخرَةَ و لَا تَنْسَ نَصيبَكَ منَ الدُّنْيٰا و اَحْسنْ كَما اَحْسنَ اللّٰهُ الَيْكَ و لَا تَبْغ الْفسادَ في الْاَرْض انَّ الله لَا يُحبُّ الْمفْسدينَ" [21]جاءَ تأثر الفرزدق كغَيره من الشعراء واضحا بهذا الفكر من خلال النواحي التالية :

١ – استخدام الألفاظ الإسلامية، بما تعنيه هذه الألفاظ من خلال البعد الدلالي الذي اكتسبته من العقيدة الإسلامية.

٢ – ـ تضمين أشعاره لمعان إسلامية، تعتبر جديدة على البيئة العربية.

٣ـ –الإفادة من الأسلوب القرآني الذي حار اللغويون في بلاغته، وفي أسلوب نسجه ،مما ترتب عليه بعد فني، يتعلق بدقة التصوير، ويحسن استعمال الكلمة ، ويتضمين شعره شيئا من القصص القرآني، الذي أضفى عليه شيئا من قوة التعبيروعمق المعاني.

٤ –ـ محاولة تمثل القيم الجديدة، وهذا ما يتضح من رواية الأصفهاني التي أوردها على لسان الفرزدق، حين حضر مع الحسن البصري جنازة زوجه النوار [22]، حيث قال له الحسن البصري : ماذا أعددت لهذا المضجع يا أبا فراس؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين عاماً. فقال الحسن : هذا العمود، فأين الطنب؟ فقال الفرزدق في الحال[23]:

لقد خاب من أولاد آدم من مشى	إلى النار مشدود الخنافسة أزرقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد	عنيف وسواق يسوق الفرزدق
أخاف وراء القبر إن لم يعافني	أشد من القبر التهاباً وأضيقا

إننا نلمس في قوله هذا، أثراً للزهد والتصوف، اللذين سادا العراق في ذلك العصر، ذلك أن الرغبة في الحصول على مرضاة الله، قد دفعت الكثيرين إلى محاولة قهر نفوسهم ؛ فمن يقرأ البيان والتبيين"[24]، يخيل إليه أن زهاد العصر الأموي، كانوا يعيشون في العراق ، وقد بدأ بسبب ذلك أدب جديد ، أخذ يشق طريقه بحياء تارة. وبشكل سافر تارة أخرى ، وسمي هذا الأدب بأدب الأهد، بدأ على شكل مواعظ وإرشادات، ولم يكن الفرزدق غائباً عن ذلك، ولا عما أحدثته الحياة الدينية من تغيير، شمل كل ما فيها

من فكر واتجاهات ، وما جاءت به من ألفاظ، أو ما استجد من مدلولات للألفاظ، ويكفي من يطالع أشعاره، أن يدرك الأثر البعيد الذي تركه الفكر الديني والقرآن والحديث في لغته ، فقد استفاد مما كان يدور في مجتمعة من جدل حول القضايا الفقهية، حيث مكنه حضور حلقات العلماء، ومدارسة الأكفياء ، من التعرف على ألوان الجدل، وعلى طرق الاستدلال والقياس، وظهر أثر هذا في تلك النقائض التي نظمها، والتي خلدها التاريخ، وخلده بها، فقد كانت تلك النقائض بخصائصها الفنية، نمطاً جديداً من أنماط الشاعرية العربية. ولم يكن حضور الفرزدق تلك الحلقات سلبياً، بل إنه كثيرا ما كان يتدخل، فيدلي بدلوه فيما يسمع، وقد حفظت لنا أشعاره، شيئاً من تلك الآراء، استفاد منها الفقهاء من بعده، في تأييد آرائهم، مثلما فعل المعتمر بن بشر، حين أراد أن يثبت أن العينة كالربا، فاستشهد بقول الفرزدق ([25]):

إذا وضيع السياط لنا نهارا	أخذنا بالربا سرق الحرير
فادخلنا جهنم ما أخذنا	من الأرباء من دون الظهور

إن حديثنا عن تأثر الفرزدق بالفكر الديني، يتطلب منا أن نتحدث عن تأثره بالقرآن وعلوم الدين، وعما أخذه من القصص القرآني وضمنه أشعاره، وما في لغته من ألفاظ إسلامية وقضايا فقهية، وهو في هذا، صورة عن شعراء عصره.فقد أخذ كل شاعر بدراسة أسس الثقافة الإسلامية، إذ لم يكونوا يجدون بدأ من ذلك بعد أن أصبحت تلك الثقافة، تعني أشياء كثيرة بالنسبة لهم، فقد أصبح القرآن كتاب الأمة الذي ينظم حياتها، وكانت السنة النبوية إلى جانبه، توضح أغراضه ، وتفصل ما به من مجمل، فلا غرو والحالة هذه، أن يقبل الشعراء على تحمل المعاني الجديدة، وتضمينها أشعارهم .

الأحكام الشرعية في شعره :

كان تأثر الفرزدق بما يجري في حلقات الفقهاء كبيرا جدا، يدل على ذلك ، تلك الأحكام التي جاءت منبثة في أشعاره، كالذي ذكره عن عقوبة الحنث باليمين. حيث يقول"([26]):

خلفت ومن يائم فإن يمينه	إذا أثمت لاقيه منها عذابها

فهو يريد أن يخبر محدثه أنه صادق فيما ذهب إليه، فبعد أن قال : حلفت، أتبعها بما يوحي أنه على علم بعقوبة الحنث باليمين، ومن ثم فلن يقع فيها.

ويذكر حق المظلوم في دفع الظلم، مقتبساً ذلك من الآية الكريمة : "ومن انصر من بعد ظلمه فأوليك ما عليهم من سيد"([27]). فيقول([28]) :

فإن يكن الهجا أحل قتلي	فقد قلنا لشاعرهم وقالا

فقد قلنا شاعرهم وقال في يمين اللغو المتضمن في الآية الكريمة : "لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم "([29]). يقول([30]) :

ولست بمأخوذ بلغو تقوله	إذا لم تمد عاقدات العزائم

قال هذا جواباً لمن يسأل الحسن البصري على مسمع منه، عن الحكم الشرعي في من يقول : بلى والله نعم، فما أن سمع الحسن قوله، حتى قاله له أصبت ([31]) ويتحدث عن الحكم الشرعي في زواج المسلم من المرأة التي يصيبها في الحرب ، فيقول([32]) :

وذات خليل انكحتنا رماحنا	حلالا لمن يبني بها لم تطلق

الألفاظ الإسلامية في شعره:

استخدم الفرزدق في أشعاره ألفاظاً إسلامية ، وأخرى أصبحت لها دلالات جديدة في ظل الفكر الإسلامي السائد، مثل: الربا وجهنم ويوم القيامة، ويوم البعث ، يقول في الربا([33]) :

إذا وطبع الساط لنا ئارا	اخذنا بالربا سرق الحرير
فأدخلنا جهنم ما أخذنا	من الأرباء من دون الظهور

ويذكر يوم القيامة ، فيقول ([34]):

إذا جاني يوم القيامة قاد	عنيف و سواق يسوق الفرزدق

لقد أخذ الألفاظ ووظفها في أشعاره، لتعطي ما تعنيه من دلالات يقرها الإسلام ويعنيها الشارع، ونجده أحيانا أخرى، يأخذ اللفظ والمعنى، فها هو يأخذ لفظ (جفان) الوارد في قوله تعال : "جفان كالجواب" ([35])يأخذها ويستخدمها، لتؤدي نفس المعنى الذي أدته في الآية : يقول([36])" :

تفرغ في شى كان جفائها	حياض جبي منها بلاء ونصف

ويتعامل مع لفظ (النمارق) بنفس المعنى المتضمن في قوله تعالى: "ونمارق مصفوفة، وزار بي مبثوثة([37]) يقول :

وإنا لتجري الخمر بن شراتنا	و بين ابي قابوس فوق النمارق([38])
ألا ليت شعري هل أزورن نسوة	برعن سنام كاسيرات النمارق

المعاني الإسلامية في اشعار الفرزدق:

ضمن أشعاره الكثير من المعاني الإسلامية، والقصص الإسلامي، من منطلق أن الشعر تعبير وتصوير لواقع مضى أو كائن، ودعوة أو تمنيات لمستقبل قادم، وأداة نسيجه اللفظة المعبرة عن المعنى المقصود، ولهذا طغت المعاني الإسلامية على أشعار الشعراء، فنجد في شعر الفرزدق إشارة واضحة إلى قصة داود وسليمان الواردة في سورة الأنبياء([39])، فمن قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك ، يقول([40]) :

فهمت تحويلها عنهم كما فهما	إذ يحكمان لهم في الحرث والغنم
داود والملك المهدي إلى حكما	أولادها و اجتراز الصوف بالجلم

ومن قصيدة يمدح فيها الحجاج بن يوسف الثقفي، يقول ([41]):

أحيا العراق وقد ثلت دعائمه	عمياء صماء لا تبقي ولا تذر

لقد ضمن قوله هذا، ما تضمنه قوله تعالى : " لَا تُبْقِي وَ لَا تَذَرُ ، لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ"[42]. وهو يقصد بالعمياء والصماء، الفتنة، واستدل على قصده هذا من استخدامه لفظ: (ثلت) لأن الثلل يعني الهلاك. ويشير إلى ما تضمنته الآية الكريمة : " فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَّ لَا يَسْتَقْدِمُونَ"[43]، فيقول[44]:

وليس بمحبوسٍ عن النفس مرسل	إليها إذا نفس أتاها حمامها

ويصور يوم الحشر، وما يلقاه الظالمون، فيقول[45]:

إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم	يذوبون من حر الصديد تمزقا

وأخذ المعنى من قوله تعالى: " و رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ "[46]، وضمنه قوله[47]:

لولا لساني حيث كنت رفعته	لرميت فاقرة أبا سيار

ويشير إلى قوله تعالى : " و السَّمَآءَ رَفَعَهَا و وَضَعَ الْمِيزَانَ "[48]فيقول[49] :

دعوت الذي سوى السموات أيده	والله أدنى من وريدي والطف

ويشير إلى مسجد الكعبة، وإلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول[50]:

لنا مسجدا الله الحرامان والهدى	وأصبحت الأسماء منا كبيرها
سوى الله إن الله لا شيء مثله	له الأمم الأولى يقوم نشورها
إمام الهدى، كم من أب أو أخ له	وقد كان للأرض العريضة نورها

وحين يعمد إلى هجاء ابن الأشعث، تتراءى لنا معان إسلامية ، تتحدث عن الحق والباطل، وعن الضلال والهدى ، ويذكر أولياء الله من بني أمية، وهم الذين اختارهم الله، ليقيموا العدل بين عباده، فكان عبد الملك بن مروان، واحدا منهم ، اختاره الله، ليكون إماماً للناس، فعمرت به الأرض وانجلى الظلام، ثم إنه يذكر استحلال الكافرين للفاحشة، وينعتهم بعدم التقوى، ويذكر قوم عاد وقوم لوط. ويوضح ما حل بهم من غضب الله وعذابه ، بسبب عصيانهم، يقول[51]:

لا بارك الله في قوم ولا شربوا	إلا أجاجاً أتونا من سجستانا
منافقين استحلوا كل فاحشة	كانوا على غير تقوى الله أعوانا
ألم يكن مؤمن فيهم فينذرهم	غذاب قوم أتوا لله عصيانا
وكم عصى الله من قوم فأهلكهم	بالريح أو غرفا بالماء طوفانا

ويشير إلى قصة إبراهيم وابنه اسحق ، إشارة واضحة ، حيث يقول[52] :

أرجو الدعاة من الذي تل ابنه	لجبينه ففداه ذو الأنعام
اسحق حيث يقول لما هابه	لأبيه حيث رأى من الأحلام

امضي، وصدق ما أمرت فإنني	بالصبر محتسبا لخير غلام

ويتحدث عن قصة يوسف وإخوانه، كما وردت في القرآن الكريم ، فيوضح كيف تمكن يوسف من استلال حقد إخوانه عليه، بإحسانه إليهم، وفي هذا يقول " ([53]):

كن مثل يوسف لما كاد إخوته	سل الضغائن حتى ماتت الحقد

تري من خلال ما تقدم، أن الألفاظ والمعاني الإسلامية التي ضمنها أشعاره، هي من الكثرة بمكان، وحسبنا ما قدمنا من نماذج لها، أعطت صورة واضحة عن أثر الفكر الديني في لغته ، مما أضفى على شعره، سمة تاريخية وثائقية ، من خلال ماتعرض له من قصص وأحداث، ومن خلال ما أورده من أحكام شرعية ، فهو لا يكاد يترك أمرأ دون أن يتحدث عنه، فقد تحدث فضلا عما سبق عن غزوة بدر، وعن انتصار المسلمين، كما تحدث عن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الجنة والنار، وعن الحساب والعذاب والثواب، وعن يوم الحشر، كما تحدث عن أنبياء الله، وعن قدرة الله سبحانه ، إلى غير ذلك من الموضوعات، وما يهمنا التأكيد عليه ، هو أن الإسلام بما جاء به من معان سامية، وألفاظ مستحدثة، قد ترك سمانه واضحة على شعره، سواء من حيث الألفاظ أم المعاني.

تأثره بلغة فارس:

تأثر الفرزدق بكل ما تأثر به أهل البصرة، سواء ما كان من أثر لما يجري في حلقات الدرس والمناظرة، أو ما كان من أثر لاختلاط الثقافات التي وجدت في تلك البيئة، فكان من البديهي أن تتأثر لغته بذلك كله. ولما كان سيل العناصر الإيرانية من القوة بحيث كانت اللغة الفارسية، تحتل مكان التصدر في القرن الأول من حيث المؤثرات العامة في أهل البصرة([54])، وعلى وجه التحديد تلك المؤثرات الخارجية، فقد كان من الطبيعي أن تجد بعض مفردات هذه اللغة، وبعض سماتها مكاناً في لغةالفرزدق الشعرية.

نعلم أن الاسم المنسوب إليه، ينتهي بألف ونون في اللغة الفارسية، بدلا من ياه النسبة التي تستخدمها في العربية. وقد تأثر الفرزدق بهذا الأمر حيث نجده يقول : "قيصران في النسبة إلى "قيصر"، وكان القياس في العربية أن يقول : قيصري ، وقد ورد هذا في قوله([55]) :

عليهن راحولات كل قطيفة	من الخز أو من قيصران علامها

وقيصر نوع من الثياب موشاة، وهذه الصيغة الفارسية في النسبة انتشرت في البصرة، فقالوا مهربان وطليقان، ويبدو أثر اللغة الفارسية في لغته كذلك، في استخدامه ألفاظا فارسية بمعناها وميناها، من ذلك لفظ: "بيدق"، وهو من الألفاظ المتعلقة بلعبة الشطرنج، قال([56]) :

ونحن إذا عدت تمهم قديمها	مكان النواصيي من وجوه السوابق
منعتك ميراث الملوك وتاجهم	وأنت لدرعي بيذق في البياذق

ومن الألفاظ الفارسية التي استخدمها كذلك (استان)، بمعنى بلاد، وقد وردت في شعره في أكثر من موضع ، من ذلك قوله ([57]):

تؤامرها في الهند أن تلحقا بهم	وبالصين صين استان أو ترك بغيرا

ومنها كلمة "كرد"([58]) وتعني بالعربية العنق، وقد أوردها في شعره حيث يقول":

وكنا إذا القيسي نب عتوده	ضربناه فوق الأنثيين على الكرد

ورد في لسان العرب تحت مادة (كرد) قوله: "والكرد" : العنق، وقيل الكرد لغة في القرد، وهو مجثم الرأس في العنق، فارسي معرب، وأورد بيت الفرزدق شاهدا على ما قال. ومن تأثره باللغة الفارسية استخدامه لفظ: "أساور" وتعني القادة ومفردها أسوار، ومنها كذلك لفظ: المرازب، ومفردها مرزبان، وهو الرئيس ، قال([59]) .

وقوم يهزون الرماح بملتقى	أساورة مرهوبة ومرازبه

أثر البيئة المادية والأدبية في لغته :

فضلاً عن المؤثرات السابقة في لغة الفرزدق الشعرية، يبقى أثر البيئة المادية والأدبية في ألفاظه خاصة، وفي لغته بوجه عام، ذلك أن الفرزدق كشاعر، تسأثر بكل ما أحاط به من بيئة ساكنة أو متحركة، وبما استمع إليه من أقوال السابقين، إن شعرا أو نثرا، ونحن نجد هذا التأثر في جانبين :

أما الأول فيما ضمنه شعره من أقوال غيره ، سواء أكان التضمين بذكر ألفاظ بعينها كما وردت لدى غيره، أما بالمعنى، يحتويه بألفاظ من عنده.

وأما الثاني، فيبدو في تلك الاستعارات، والتشبيهات التي أقامها على ما حوله من بيئة مادية، حتى غدا شعره بحق ديواناً، سجل فيه كل ما أحاط به من أماكن وأشجار وحيوانات ، فحين يريد أن يعبر عن أصل قوم يصفهم بالنجابة والسيادة، فإنه يستخدم لفظ "أثلة"، وهي نبت معروف لديهم، فها هو يتحدث عن أصالة ذهل بن شيبان، فيقول([60]) :

إن لآل عدي أثلة فلقت	صفاة ذبيان لا تدنوا لها الشجر

ويقول :

لم اثلة منها خرجتم وظلها	عليكم وفيكم نبتها في ثرائها

ورد في لسان العرب([61]) "والأثل شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه وأكرم وأجود عودا، تسوى به الأقداح الصفر الجياد، ومنه اتخذ منبر سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم-". وقد أكثر الفرزدق من استخدام هذه الكلمة في أشعاره ، كما استخدم لفظ (دلو)، وهو الوعاء الذي يستخرج به الماء من البئر، حيث استعاره للكرم، وفي ذلك يقول "([62]) :

وأنت امروء من آل شيبان تستقي	إلى دلوك الكبرى عظام دلائها

حيث نجده يأخذ المعنى، ويلبسه ألفاظا قريبة من هذه التي استخدمها حسان، فيقول ([63]):

فلا رفعت إن كنت قلت التي رووا	علي ردائي حين البسة يدي

وأخذ عن امرئ القيس قوله ([64]):

سما بك شوق بعدما كان أقصرا	وحلت سليمي بطن قو فعرعـرا

أخذ الفرزدق المعنى وبعض الألفاظ ذاتها، فقال([65]):

سمالك شوق من نوار ودونها	سويقة والدهنا وعرض جوائها

إن الفرزدق الذي ورث تراث الجاهلية وأخلاقها، قد مازجت ثقافته كما رأينا ثقافة دينية، قامت على القرآن الكريم وعلوم الدين، وعلى ما أثر في مجتمع البصرة من بقايا ثقافات قديمة ، وقد ساعدته إقامته في البصرة، على اتساع معجمه الثقافي، حيث أتاحت له حلقات الدرس والمناظرات التي كان يحرص على حضورها، الوقوف على كثير من أمور الفقه وأحكام الدين، فتركت هذه الثقافة بصماتها واضحة على ألفاظه وبشكل خاص، وعلى لغته الشعرية بشكل عام. وهذا ما لاحظناه خلال المسطور السابقة، وليس معنى هذا أن الفرزدق قد تخلص من ألفاظه الجاهلية، ومن أثر ما ورثه عن السابقين، بل إنه كان متأثرا بالعقلية الجاهلية أشد التأثر، فهو خليط بين هذه وتلك، وهذا ما سنوضحه خلال تعرضنا لألفاظه وتراكيبه ، خلال السطور التالية، فلقد كان شديد التمسك بفضائل الجاهلية ، كثير التفاخر بها؛ فحين هجا آل المهلب، كان أقسى ما قاله عنهم، أنهم عرب أقاح ، لم يكونوا في جاهليتهم أوفياء لأعراف الجاهلية، من عبادة الأوثان، وحج مكة، في حين أغرق في فخره بتميم بتمسكها في ذلك الوقت بفضائل الجاهلية وقيمها، يقول في ذلك ([66]):

قد علمت خدف والمجد يكنفها	أن لنا عزها في أول الحقب
وفي الحديث إذا الأقوال شـارعة	في باحة الشرك أو في بيضة العرب

ويروى أنه ربما سمع البيت من أحد الشعراء، فيستحسنه، وينحله لنفسه .ومن ذلك ما يروى أنه وقف على الشمردل"([67])، واستنشده شعرا فأنشده قوله :

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة	وبين تميم غير حز الغلاصم

فقال الفرزدق : والله لتتركن لي هذا البيت ، أو لتتركن عرضك، فقال الشمردل : خذه لا بارك الله لك فيه ، ومن هذا ما أورده صاحب الأغاني عن عبد العزيز بن عمران([68]) عن البيت المنسوب إلى الفرزدق:

ترى الناس ما سيرنا يسيرون خلفنا	وإن تحسن أومأنا إلى الناس وقوا

حيث ذكر أن البيت لجميل بن معمر، وقد أشار ابن الأثير لهذا الأمر، حين تحدث عن السرقات الشعرية، وجعلها تعود إلى : النسخ والمسخ، وذكر من النسخ قول الفرزدق :

أتعدل أحسابا لئاماً أدقة	بأحسابنا إني إلى الله راجع

حيث ورد البيت في شعر جرير منسوخاً. ومن يتابع ما أورده ابن الأثير في هذا الموضوع"([69])، يجد أن ما أخذه الفرزدق قياساً لما أخذ عنه، هو من القلة بحيث لا يكاد يذكر، ومن هذا ما رواه صاحب الأغاني، حيث يقول([70])مر الفرزدق بابن ميادة الرماح، والناس حوله وهو ينشد :

لو أن جميع الناس كانوا بربوة	وجنت بجدي ظالم وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا	سجوداً على أقدامنا بالجمام

فسمعه الفرزدق ، فقال : أما والله يا ابن الفارسية، لتدعته لي، أو لأنبشن أمك من قبرها، فقال له ابن ميادة: خذه لا بارك الله لك فيه، فقال الفرزدق :

لوان جميع الناس كانوا بربوة	وجت بجدي دارم وابن دارم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا	سجوداً على أقداينا بالجماجم

ويظهر تأثره فيمن حوله بمجاراته لغة بلحرث بن كعب، في حذف نون اللذين واللتين في حالة الرفع، مع أن تميماً وقيسا يثبتونها مشددة، قال([71]) :

أبي كليب إن عمي الذا	قتلا الوك وفككا الأغلالا

الهوامش

[1] . الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص ٣٢٨

[2] . ديوان الفرزدق، ج٢، ص ١٤٢

[3] . صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص ٧٢.

[4] . ابن رشيق العمدة، ١/٨٦.

[5] . ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص١٤، القرآن الكريم، سورة الملك، الآية 4 –

[6]. ابن دريد، جمهرة اللغة، ج٣، ص٢٩٣

[7] - السيوطي، المزهر، ج ١، ص ٢١٤

[8] - ديوان الفرزدق، ج١، ص٣٧٥

[9] - أبو علي القالي، الأمالي، ج١، ص ٢١

[10] - ديوان الفرزدق، ج٢، ص ٣١٤-

[11] . المرجع السابق، طبعة الصاوي، ص ١١.

[12] . السيوطي، المزهر، ج٢، ص ٢٧٧.

[13] . ديوان الفرزدق، طبعة دار الكتب العلمية، ص ١٢٦، طبيعة الصاوي، ص 161.

[14] . المرجع السابق ، طبعة الصاوي، ص٨٣٥، طبعة دار صادر، ج٢، ص ٠٢٩٠

[15] . ديوان الفرزدق، طبعة الصاوي، ص 116، وطبعة دار الكتب العلمية، ص ٩٢

[16] . أبو عبيدة معمر بن المثنى، نقائض جرير والفرزدق، ج ٢، ص ١٥٤٨ ديوان المفرزدقي، طبعة دار صادرا ج٢، ص ٢٣-

[17] . القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٠٢١٢

[18] .المرجع السابق، سورة الليل، الآية هـ.

[19] . المرجع السابق، سورة النحل، الآية ١٢٨.

[20] . المرجع السابق ، سورة الحج، الآية 78-

[21] . المرجع السابق ، سورة القصص، الآية ٧٧.

[22] . الأصفهاني، الأغاني، ج ١، ص 415، مختصر الأغاني، ج ١١، ص ٣٦٩-

[23] . ديوان المرزدق، ج٣، ص ٣٩، الأصفهاني، الأغاني، ١٩/٤٧.

[24] . الجاحظ البيان والتبين، ج 1، ص ٣٩٤،

[25] . ديوان الفرزدق، ج١، ص ٢٨٥، طبعة المساوي، ص ٣٥٢.

[26] . ديوان الفرزدق، ج١، ص ٥٠.

[27] . القرآن الكريم، سورة الشوري، الآية ١٤١.

[28] . ديوان الفرزدق، ج٢، ص ٠٧٠

[29] . القرآن الكريم، سورة البقرة الآية ٢٢٥.

[30] . ديوان الفرزدق، ج٢، ص ٣٠٧، النقائض، ص ٣٤٤، عود الشريف قاسم، شعر البصرة، ص ٣١٩.

[31] . الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ص ٩١، ابن رشيق، العمدة، ج1، ص هـ هـ .

[32] . ديوان الفرزدق، ج٢، ص ٠٣٨٠

[33] . ديوان الفرزدق، ج١، ص ٣٨٥، ج٢، ص ٣٩.

[34] . المرجع السابق، ج ١، ص ٣٨٠، ج ٢، ص ٠٣٩

[35] . القرآن الكريم، سورة الغاشية، الآية 16.

[36] . ديوان الفرزدق، ج٢، ص ٢٨.

[37] . القرآن الكريم، سورة الملك، الآية 4

[38] . ديوان الفرزدق، ج٢، ص ٥٤.

[39] . القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 78.

[40] . ديوان الفرزدق، ج٢، ص ٠٢١٠

[41] . ديوان الفرزدق، ج١، ص ٣٤٩.

[42] . القرآن الكريم، سورة المدثر، الآية ٢٩.

[43] . من ده سورة الأعراف، الآية ٣٤.

[44] . ديوان الفرزدق، ج٢، ص ١٩٢

[45] . نفس المرجع، ج٢، ص ٣٩.

[46] . القرآن الكريم، سورة الشرح، الآية 4.

[47] . ديوان الفرزدق، ج١، ص ٣٦١.

[48] . القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية 7-

[49] . ديوان الفرزدق، ج٢، ص ٠٢٥

[50] . المرجع السابق. م، ج ١، ص 368، أبو عبيدة، النقائض، ج١، هي ٥٢٩.

[51] . ديوان الفرزدق، ج٢، ص ٣٢٨

[52]. ديوان الفرزدق، ج٢، ص ٠٢٨٤

[53] . الديوان الفرزدق ، ج١، ص ١٣٩،

[54] . يوهان فيك، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ص ٣٥-

[55] . ديوان الفرزدق ،ج،٢،ص٢٣٠.

[56] . بوهان فيك، دراسات في اللغة واللهجات، ص ١٢١

[57] . ديوان الفرزدق، ج١، ص ٢٤١

[58] . ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص ٠٣٧٩

[59] . ديوان الفرزدق، طبعة دار صادر، ج ١، ص ٥ هـ.

[60] . ديوان الفرزدق، ج١، ص ٢٢٧، ص ٠١١

[61] . ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ١٠.

[62] . ديوان الفرزدق، ج١، ص ٠١١

[63] . ديوان الفرزدق، ج١، ص ١٤٠.

[64] . ديوان امرئ القيس، ص ٠٨٣

[65] . ديوان الفرزدق، ج١، ص ٩-

[66] . ديوان الفرزدق، ج١، ص ٤٠-

[67] . الأصبهان، محاضرات الأدباء، ج١، ص 85، والأغاني للأصفهان، ج٢١، ص ٣٥٠.

[68] . الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص ٩٩، ج٢، ص ٣٣١.

[69] . ابن الأثير، المثل السائر، ج٢، ص ٣٧١.

[70] . الأصفهاني، ج٢١، ص ٠٣١٠

[71] . أوضح المسالك، ج١، ص ٩٩، الرافعي، تاريخ الآداب العربية، ص١٥٠.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن هشام، أبو محمد بن جمال الدين، أوضح المسالك، طه، بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٦٦م
3. ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد. ط٣ ، بيروت، ١٩٧٢م
4. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، القاهرة : مطبعة بولاق، ١٣٠٠هـ
5. شرف الدين، خليل، الفرزدق، بيروت : مكتبة الهلال، ١٩٨٢م.
6. الفرزدق ، ديوان شعر، بيروت : دار صادر،
7. امرؤا القيس، ديوان الشعر، ط٧ ، بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٢م.
8. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الدين محمد، المثل السائر، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، القاهرة: (لان)، ١٩٣٩م.
9. أبو عبيدة معمر بن المثنى، نقائض جرير والفرزيق، (لا.م)، مطبعة بريل ، ١٩٠٥م.
10. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق/ عبد السلام هارون، القاهرة (لان)، ١٩٦٠م.
11. السيوطي، المزهر في علوم اللغة، القاهرة، دار إحياء الكتاب.
12. أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالية القاهرة: دار الكتب المصرية ، ١٩٢٦م.
13. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة، ط1، بيروت، دار صادر عن طبعة حيدر آباو ١٣٥١م.
14. الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، طه ، بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨١م.